

سيادة الشعب

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

أقسمنا على أن نحرر أمتنا من الطغيان ومن المذلة والمار --
أو نموت دون ذلك . محمد نجيب

أفاق الناس كأنما كانوا في حلم مروع ، وانزاح عنهم كابوس
ثقل جثم على صدورهم ليلة كان طولها ستة عشر عاما !
سبحانك ربّي نمر من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير وأنت على
كل شيء قدير

بلغ السيل الزبى وجاوز الطغيان مداه وبلغت القلوب الحناجر
وراح الناس يتساءلون : أما لهذا الليل من آخر ؟؟

وحار الناس في أمرهم ، وأشفقوا على مصير وطنهم : فحيثما
نظروا وجدوا ظلما صارخا وفسادا قائما وفوضى لا أول لها ينظر
ولا آخر لها ينتظر . أخلاق تنهار ومجتمع يضمحل وحكم فاسد
وفساد يستشري . قتل للأبرياء الأحرار وسجن وتشريد ونفى
وتعذيب . رشوة ومحسوبة ، سرقة وسهب ، ظلم وغدر : تلك
هي قواعد الحكم

وأشهد أنى قرأت الكثير من كتب التاريخ ولكن ما
شاهدته مصر لم تقرأ عيني له نظيرا !!

ويئس كثيرون ولكنى كنت دائما أقول « إذا غفلت عين
لإنسان فلن تتخلى عنا عناية الرحمن »

وأخيرا جاء اليوم الرقيب وأشرق العهد الجديد السميد
بمشيئة الله . وكان ذلك يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢

استيقظ الناس من نومهم واستمعوا إلى المذيع . إنه يتلو
نداء جديدا . الله أكبر ، هذا يوم كان الشعب ينتظره بفارغ
العصر

لقد كان الجيش ينادى بزوال عهد الفساد والطغيان وبقيام
الحكم الصالح في ظل الدستور

وأشفق المصريون جميعا على رجال الجيش البواسل وانطلقوا
يدهمون الله أن يكلاهم بمنابته وأن يوقفهم في حركتهم

وأشهد أن الناس قد أخفوا جميعا بحركة الجيش . لقد كان

الملك السابق يعتمد على الجيش في إذلال الشعب وكان الشعب على
آتم استعداد لمقاومة الطغيان لو ضمن حياة الجيش

ونسى الطاغية أن الجيش من الشعب وللشعب وأن الولاء
إذا قام حينئذ على أمل الإصلاح فلن يقوم دوما على الفساد

وامتدت حركة الفساد إلى الجيش ونكل بالأحرار من
رجاله وقتل بعضهم جهارا في شوارع العاصمة

وكان مالا بد أن يكون ، قام الجيش في ٢٣ يوليو بوضع حدا
للظلم ، والطغيان ، والفساد

وكانت الحوادث أسرع مما تصور الناس . وجاء يوم ٢٦
يوليو ١٩٥٢ وجلست أستمع إلى المذيع وإذا به يذيع « انتظروا

بيانا هاما في الساعة السادسة » وكرر المذيع ذلك النداء مرارا ،
وأشهد أن هذا التكرار قد أشاع القلق في نفسى ورحت

أتساءل : ترى ماذا يكون هذا النبأ ؟ وأخذت أحسب الثوانى
والدقائق حتى إذا كانت الساعة السادسة انطلق المذيع يتلو بيان

اللواء أركان حرب محمد نجيب :

بنى وطنى

إنما للعمل الذى قام به جيشكم الباسل في سبيل قضيتكم
قت في الساعة التاسعة من صباح اليوم بمقابلة حضرة صاحب

المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء وسلمته عريضة
موجهة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحمل

مطلبين على لسان الشعب : الأول أن يتنازل جلالته عن العرش
لسمو ولي عهده قبل ظهر اليوم . والثانى أن يغادر جلالته البلاد

قبل الساعة السادسة مساء .

وقد تفضل جلالته فوافق على المطلبين وتم التنفيذ في
الواعيد المحددة دون حدوث ما يعكر الضفو ...

استمعت إلى البيان وكاد قلبي يقفز من بين ضلوعى ولم
تصدق أذنانى ما سمعت فانطلقت إلى الشارع أشارك الشعب

سروره وإبتهاجه ورحت أطوف بالشوارع والطرقات فوجدت
الناس من فرط السرور لا يعرفون كيف يستقرون على حال

لقد كان زوال الظلم والطاغية حلما ولكنه أصبح الآن
حقيقة واقعة ، وهكذا أدركت مصر عناية الرحمن وماد لشعبها

سلطانة وسيادته

الثورة المجيدة

كنت أقرأ في كتب التاريخ قصصا خالدة كتبها جيوش بعض الأمم حين وقفت تدافع عن حرياتها الداخلية وكنت أتساءل دائما : لم لا يقف جيشنا بدافع عن حريتنا الداخلية كما يدافع عن أرضنا ضد العدو الأجنبي وكما فعلت جيوش تلك الأمم ؟؟ وجاء الرد يوم ٢٣ يوليو المبارك

وإني هنا أصف للقراء بعض تلك المواقف . في ١٦٨٨ كان يحكم إنجلترا الملك جيمس الثاني وكان كاثوليكيًا متعصبًا يؤمن بالحق الملكي المقدس ميالا إلى التسامح مع الكاثوليك ولذلك كرهه الشعب والبرلمان . وكان الشعب يعنى نفسه بأنه عند انقضاء أجل جيمس الثاني ستعطي العرش ابنته ماري وكانت بروتستانتية ولكن في ١٦٨٨ ولد لجيمس ولد من زوجته الكاثوليكية وبذلك صار وارثا للعرش . فلم يطلق الشعب صبرا وثارا ضد جيمس واستدعى ماري وزوجها وليم أورنج من هولندا للحضور إلى إنجلترا لتتوالى العرش قدما

أرسل جيمس جيشا ليحول بينهما وبين النزول في أرض إنجلترا ولكن الجيش رفض أن يحارب الشعب وانضم إلى صفوفه في الترحيب بماري ووليم وأسقط في يد جيمس واضطر أن يهاجر إنجلترا إلى فرنسا . وتعرف هذه الثورة بثورة ١٦٨٨ المجيدة .

بعد فرار جيمس اجتمع البرلمان وقرر أن عرش إنجلترا خال ودعا ماري ووليم لاعتلائه ، وكان هذا ممنا أن الملك مولى من قبل الشعب وبذلك سقطت نظرية التفويض الإلهي واستقر الحكم الدستوري الملكي في إنجلترا

وفي فرنسا قامت ثورة ١٨٣٠ ضد ملك طاغية هو شارل العاشر . كان هذا الملك رجسًا ظالما لا يؤمن بحرية الشعب ومن ثم عمد إلى مقاومة الحياة النيابية ونسف ضد أعضاء البرلمان ولكنهم قاوموه . فحل المجلس أكثر من مرة وعدل قوانين الانتخابات وقيد حرية الصحافة وضاق الشعب ذروعا به فقام بالثورة ضده في ٢٦ يوليو ١٨٣٠

وأمر الملك الجيش بمحاربة الثوار ، ولكن الجنود رفضوا

مقاتلة أبناء وطنهم الذين قاموا يدافعون عن حرياتهم وانضموا إليهم وأسقط في يد الملك وسقط عن عرشه وغادر أرض فرنسا إلى غير رجعة

وتولى العرش بعده لويس فيليب وكان مفروضا أن تستقر الديمقراطية في عهده ولكن هذا الملك مثل في تحقيق الديمقراطية في داخل فرنسا فزيف الانتخابات وشترى ذم النواب ووقف ضد رغبات الشعب فكرهه الشعب

وزادت كراهية الشعب له بسبب ضعف سياسته الخارجية، ذلك أن فرنسا كانت تحب أن ترفع رأسه في أوروبا وأن تكون لها الكلمة العليا في شؤون القارة كما كان الحال في عهد نابليون ولكن لويس فيليب كان ضعيفا متخاذلا ومن ثم عمل دائما على الخضوع لرغبات إنجلترا وكانت إذ ذاك أكبر أعداء فرنسا

من ذلك أن فرنسا رفضت أن تعطي إنجلترا حق تفيتش سفنها بحثا عن العبيد المهربين ، وكان ذلك في عهد لويس الثامن عشر وشارل العاشر، ولكن لويس فيليب وافق على ذلك ، وكان في هذا إذلال للفرنسيين وجرح لشعورهم . من ذلك أيضا أن فرنسا وقفت بجانب محمد علي أثناء الأزمة المصرية ١٨٤٠ واعتقد محمد علي أن فرنسا ستقف بجواره في حالة قيام الحرب بينه وبين إنجلترا . ولكن لما اشتد الخلاف وأصبحت الحرب وشيكة الوقوع تخلى لويس فيليب عن حليفه محمد علي وتركه يتلقى وحده ضربات إنجلترا وحلفائها

وأضعفت هذه السياسة التخاذلة مركز لويس فيليب . وهكذا عجز لويس فيليب عن تحقيق الديمقراطية في داخل فرنسا وعن إحراز المجد لها في الخارج

وأخيرا ثار الشعب ضده في فبراير ١٨٤٨ وأمر الملك الجيش بمقاومة الثوار ولكن الجنود رفضوا مقاتلة إخوانهم أنصار الحرية واضطر الملك أن يزل عن عرشه وأن يهاجر فرنسا إلى غير رجعة أيضا

تلك هي مواقف خالدة لبعض الجيوش الوطنية التي قامت لحماية حرية شعوبها

ولكن حركة الجيش المصري الأخيرة كانت أروع الحركات التي سجلها التاريخ المعاصر